بسم الله الرحمان الرحيم

إعلم أيها الحريص على حفظ دينه أن المنافق اليوم يحرص على إظهار ما يدل على الإسلام حتى لا يكشف أمره بين المسلمين الحقيقيين و لذلك فإن إظهار خصائص الإسلام عنده هو الأساس كله للعبته في ادعاء الإسلام، فهو يشمئز ممن يريد تضييق الدائرة حتى تتحقق شروط و تنتفي موانع الإسلام، بل يريد أن يجعل كل من أظهر بعض خصائص الإسلام مسلما و لا يريد أن يكون أحد في تصوره و في تصور الناس ممن يظهر خصائص الإسلام و هو كافر ليسهل عليه و على أوليائه حينئذ من الكافرين هدم هذا الدين، لأن البحث في نواقض الإسلام و شروط التوحيد هي الفاضحة بالنسبة له، فإنه حينئذ أمكن أن ينكشف كفره، لذا فهو لا يريد أن يجعل دائرة الإسلام ضيقة تقتصر على فئة معينة فقط بل يريدها شاملة لجميع من أتى ببعض خصائصه، فيبذل كل جهده في توسيع هذه الدائرة ليتمكن من اخفاء نفسه و جميع من هم على شاكلته، و لأجل ذلك تجد الكثير من أهل الإسلام ينخدعون بظاهره و يعذرونه فيما خالف فيه من إعذاره للمشركين بالجهل و التأويل.

هذا البحث يتناول الحجج التي يذكرها عاذر عاذر المشرك حين يمتنع عن تكفيره و يبين أحواله و صور خطئه كما يبين انحصار حال عاذر المشرك في الصور المكفرة و أبرز تلك الصور، فعلى طالب الحق ألا ينخدع بحال هذا المنافق فيعذره بأعذار تخيلية فإن ذلك هو مطلبه فليحذر من الوقوع في فخه، و الله هو الهادي إلى سواء السبيل.

فمن حجج من عذر عاذري المشركين بالجهل من المرجئة و أتباع أبو عرفة و غيرهم.

عدم بلوغ النصوص الموجبه لمعرفة الحق.

و هذا غير ممكن فإن نفس البلاغ الذي بلغ المشركين و قامت الحجة عليهم به يكون بلاغا لمن عذرهم و هذا البلاغ هو القرآن المبين، ففيه بيان التوحيد و إنذار عن الشرك و حكم أهل التوحيد و أهل الشرك في الدارين بأبلغ بيان، فلا يمكن الإحتجاج بعدم بلوغ العاذر النصوص الدالة على كفر المشركين، فإن في القرآن ما يدل على حرمة اقتراب الشرك و فيه ما يدل على كفر المشرك و خلوده في النار بأوضح بيان و بأساليب متعددة و ضرب لذلك الأمثال و بين قبح الخلط بين المسلمين و الكافرين بأبلغ الأساليب فقال "أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون" بل جعل فارق حتى بين المؤمن و الفاسق فقال " أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18)" و قال "أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29)" فلم يكن يحسن هذا الإنكار إذا كان الفارق بينهما غير مبين في أبين كتاب و أبلغه و أوضحه و الأدلة المفرقة بين أهل التوحيد و أهل الشرك في كتاب الله لا تكاد تنحصر، بل عدم بلوغه ذلك إنما يحصل بسبب إعراضه عن تعلم التوحيد أو تكذيبه بغير إحاطة و هذا كفر بمجرده.

أوبلغته ولم تثبت عنده.

و هذا كذلك غير ممكن إذ يعد القرآن المحفوظ أثبت الأدلة كاف تمام الكفاية في بلوغ الحجة، فلا يحتاج إلى غيره فلا يدعي عدم الثبوت إلا المشكك في ثبوت القرآن و هذا كافر أيضا.

أو ثبتت عنده ولكن عارضها معارض أوجب له تأويلها.

و هذا كذلك غير ممكن إلا عن طريق التكلف الزائغ و هو خروج عن الأصل و تغيير بلا موجب و هو باطل، فإن الآيات البينات الدالة على كفر المشركين كالأدلة الدالة على النهي عن الشرك لا تحتاج إلى تأويل بل هي بينة بنفسها أوضح بيان و تجدها متظافرة مؤتلفة غير مختلفة متفقة غير مفترقة محكمة غير متشابهة بل لا تجد في الكتاب و لا في السنة و لا في فهم سلف الأمة مما يكون ظاهرا في الدلالة على دفع وصف الكفر على من فعل الشرك أو وصفه بالإسلام، و لا يختلق هذا الإيراد إلا عن طريق التكلف و اتباع المتشابه "فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ"، فلا تخرج عن معناها الظاهر إلا عن طريق سوء القصد و التكلف المذموم و هذا ليس بعذر فقد تكلف مانعوا الزكاة في تخصيص معنى إيتاء الزكاة و قصره على النبي فقط و استدلوا بقوله تعالى "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها و صل عليهم إن صلاتك سكن لهم" و جعلوا هذا معارضا لقوله تعالى "فإن تابوا و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة فخلوا سبيلهم" و قوله تعالى "و آتوا الزكاة" و قالوا لا نؤتي زكاتنا إلا لمن كانت صلاته سكن لنا فخصصوه بهذا المعارض و لم يسمه أبو بكر رضي الله عنه معارضا و لم يعذرهم به و لم يقل إنهم متأولون بل قاتلهم لأول وهلة قتال المرتدين، فتأمل كيف علم أبو

بكر رضي الله عنه أن حكم وجوب الزكاة على الجميع بعد موت النبي صلى الله عليه و سلم من المعلوم من الدين بالضرورة المحكم الذي لم يجعل الله له مجالا لدخول المعارض عليه و لا يكون مدعي الإجتهاد فيه إلا سيئا للقصد ملبسا زائغا مرتدا بفعله ذاك بل بينه الله أوضح بيان و أحكمه أيما إحكام حتى أنه ليضطر المرء إلى إثباته و عدم إنكاره بل حتى أنه لا يلتفت الشرع إلى من سعى في قصره على أحد جزئياته و هذا معنى المعلوم من الدين بالضرورة، فإذا كانت مسألة الزكاة لا يلتفت إلى احتجاجات من منعها و ادعى دخول المعارض عليها الموجب لتأويلها فكيف بالتوحيد الذي أجمع عليه الرسل و دلت عليه العقول و الفطر و إنما أنزل الله كتابه المبين أساسا لبيانه و التفريق بين أهله و بين من خرج عن حكمه فسماه الله فرقانا، أفلا ينبغي أن يكون شق التوحيد الكفر بالطاغوت من أوضح الموضحات و أحكم المحكمات و أدخل في معنى المعلوم من الدين بالضرورة الذي لم يجعل الله له مجالا لدخول المعارض عليه من دخول الصلاة و الزكاة، كلا فعاذر المشرك المدعي للمعارض الموجب للتأويل زنديق كافر و من صدقه و ظنه متأول بما ادعاه من معارض قد أخطأ و لم يصب و لا يجب أن يكون بخطئه هذا كافرا بل و لا ضالا فإن عمر رضي الله عنه ظن في أول الأمر أن مانعي الزكاة قد لا ينتقض إسلامهم بذاك و لم يرم لا بالكفر و لا بالضلال بل نبهه أبو بكر رضي الله عنه.

أوثبتت ولم يتمكن من فهمها.

و هذا حق لأن المنافقين لا يفقهون بل على قلوبهم أكنة أن يفقهوا الذكر و في آذانهم وقرا، فلهم قلوب لا يفقهون بها و أعين لا يبصرون بها و آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون، أما ادعاء كونه أراد صدقا فهمها و لم يتمكن، فإن فهمها متوقف على ثلاثة أمور، كون القرآن مبين يفهمه الأميون فضلا عن غيرهم و هذا حاصل، و كون المرء أهل لفهم هذا الكتاب المبين و هذا كذلك حاصل فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم و الصادق في طلب الحق لا يقصر في معرفة ما يمكنه به أن يفهم كتاب الله الميسر، و الثالث كون المرء طالبا للحق مؤثر له متق لربه و هذا هو الذي يهلك فيه الزائغون و ينجوا فيه المتقون " فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِه" و أما المتقون فإن الله تعالى قال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " و قال " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69) "، فالقول بأنه أراد صدقا فهمها و لم يتمكن باطل لأنه لو أرادا صدقا فهمها لمكنه الله من ذلك و لوفقه إليه، فإن هذا الإيراد تشكيك في توفيق الله من صدقه، أما من كذب أو زعم الجمع بين الصدق و الكذب فهذا هو المنافق الكاذب الذي لا يهديه الله لقوله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (105) " فإن محل النية من جهة الصدق و الكذب وحيد لا يقبل ضدين فإما أن نيته في طلب الحق صادقة و إما كاذبة.

أوعرضت له شبهه يعذره الله بها.

صحيح أنه له شبهة لكن لا يعذره الله بها كما أن من صحح دين النصارى لهم شبهاتهم و لا يعذرون بها و لو كانت مما يعذر بها لما كانت مسألة الشهادة بكفر المشركين من المعلوم من الدين بالضرورة كما تقدم، لكنها كذلك فقد بين الله كفرهم في كتابه و فيما جاء عن نبيه صلى الله عليه و سلم أوضح بيان و أحكمه إحكاما و بيانا يضطر معه المكلف لإدراكه فلا يعدل عنه المرء إلا لزيغ في قلبه و صاحب القلب السليم يضطر إلى قبوله فيكون معلوما من الدين بالإضطرار فلا تطرأ الشبهة إلا لمتكلف سبق قصده إعذار المشرك استدلاله فجعل الإستدلال خادما لقصده الذي تلقاه عن غير الله فلم يكن قصدا للشارع فهو باطل ابتداءا، و لو سلم قصده ابتداءا لأفرد التوجه في القصد إلى حكم الله فيهم في كتابه و على لسان نبيه و بفهم السلف فيكون ممن أفرد التلقي عن الله وحده و ذلك من مصادر التلقي فلا يجعل شراكة لنفسه أو هواه أو غير ذلك مع الله في التلقي و هذا القصد لا ينبت إلا من الشجرة الطيبة لا الخبيثة، فيجعل قصده تابعا لحكم الله، و المتأمل إذا تأمل شبهاتهم التي يعذرون بها الجاهل المتأول لعلم علم يقين أنهم لم يوردوها إلا تكلفا و قصدا سابقا من عندهم جعلوا به ما أوردوه من الشبهات تابعا له فهي واهية لا ثقل لها مؤسسة على هوى على شفا جرف هار.

فيجب ضبط التفريق بين القصد الذي يكون قبل الإيراد للشبهات و التأويلات و بين القصد الذي يرد بعد ورودها، و أن هذه القبلية و البعدية ليست بالزمان بل بالتقديم و التأخير التأسيسي كتقدم الأوصاف الباطنة على المقاصد فلكل وصف باطن مقاصد تتعلق به هي ثمراته، فالنفس الخبيثة تكمن القصد الخبيث و لا تلتزم إلا بما أمكنها من القصد فإذا ما أمكنها القصد الخبيث ظهر لها ما كانت تكمنه و من ثم يظهر للناس "و مهما تكن عند امرىء من خليقة و إن خالها تخفى على الناس تعلم".

و هذا الإعتبار لا بد منه للتفريق بين الشبهات التي تكون معتبرة و التي لا تكون معتبرة، و لا أحسن و لا أعدل في التفريق من الذي ينبني على التمييز بين ما يكون بينا محكما معلوما من الدين بالإضطرار أدلته متفقة مؤتلفة و بين ما يكون خفيا متشابها أدلته مفترقة مختلفة، و قد فرق الله بين من تمسك بهذا و من تمسك بذاك و حكم على ما في قلبي هذا و ذاك فقال : "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7)". فدلت الآية الكريمة على أن الغير موصوفين بالزيغ في القلوب لا يتبعون المتشابه بل يتبعون المحكم و أما الزائغين هم الذين يتبعون المتشابه منه، فهم موصوفين بالزيغ قبل قصدهم الفاسد و ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله تأويل الفتنة لا ابتغاء الحق و الرشد فهو من ثمار ما اتصفوا به فدلت الآية على أنه سبق في وصفهم الزيغ و في قصدهم ابتغاء الفتنة فلجؤو للتأويل سترا لزيغهم و تحريفا للدين، فهذا حكم الله على ما في قلوبهم و ما يذكر إلا أولو الألباب، و من أمثلة ذلك استدلالهم بقوله تعالى "و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" ثم فسروا العذاب بوصف الكفر و فسروا الرسول بقيام الحجة بالبيان و التعريف و كل هذا باطل فإن وصف الكفر أعم من العذاب هنا، و مراد الرسول هنا هو قيام الحجة الرسالية، و لذلك كان العذاب لا يلحق صاحبه إلا بعد بلوغ الحجة الرسالية و هذا لا يعني أن وصف الكفر لا يلحق بصاحبه إلا بعد الرسول فضلا ألا يلحق إلا بعد قيام الحجة بالبيان و التعريف، ففي فهمهم تكلف واضح و القصد منه أوضح، و لو أرادوا الحق لوجدوا القرآن لا يعدم بيانه جملة و تفصيلا، فإن الله سمى أهل الشرك مشركين مع أنهم لا يعلمون فقال تعالى "و إن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون"، و وصف المشركين بالكفر مع أهل الكتاب قبل البينة فقال : "لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين منفكين حتى تأتيهم البينة" و وصف ملكة سبأ بلقيس بالكفر لما كانت تعبد غير الله قبل إرسال الرسول فقال : "وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43)" و وصف إبراهيم عليه السلام الملك الجبار الذي دخل بلدته بالكافر و قال لزوجته "فإن سألك فأخبريه أنك أختي ، فإنك أختي في الإسلام ، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك" فلم يسمه مسلما مع أنه لم يبلغه الرسالة بعد، و إذا نظرنا إلى ما يدل على كفر المشرك قبل بلوغ الرسالة لوجدنا الأدلة أكثر من أن تعد و أبين من أن توضح و أحكم من أن تشتبه " فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ"، فهذا جانب في إيضاح زيغهم و أنهم لا يريدون الحق بل يريدون تبديله بالباطل و لا يبقى إلا أن يقال إن هؤلاء المكذبون الجاحدون لهذه الآيات ليس مرادهم غير تحريف هذا الدين كما قال تعالى : "ابتغاء الفتنة"، و ما شبهاتهم إلا لتغطية زيغهم " كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) "

<u>أوكان مجتهدا مع حسن النية والقصد.</u>

و

<u>أومقلدا مع الحرص على معرفة الحق .</u>

إن كل طالب حق حسن قصده و صدق ربه و حرص على معرفة الحق سواء كان مجتهدا أو مقلدا فإن الله جاعل له ما يرشده و يهديه إلى الحق و يوصله إليه، كما قال تعالى : "و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين"، و من كان داسا لنفسه أو فاسد القصد أو غير حريص على معرفة الحق قال تعالى فيه : "إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل و ما لهم من ناصرين" و قال : "إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23)"

إذا علم هذا فاعلم أنه لا يخلو المتوقف في كفر المرجئي أي الذي يعذر المشرك بالجهل و التأويل من حالتين :

الأولى : إما أنه يدرك انحصار أحوال المرجئ في الصور المكفرة المعلومة من الدين بالضرورة فهذا وجب عليه تكفيره فإن لم يفعل فهو كافر.

الثانية : إما أنه لا يتصور انحصار أحواله في الصور المكفرة لأجل أنه :

يدرك الصور المكفرة التي تتعلق به و يظن أن أحواله لا تنحصر في هذه الصور و يتخيل أنه قد يكون معذورا بأعذار لا يحيط هو بها و لا يتصور كنهها و يستمد إنشاء حسن الظن بالمرجئي و القصد إلى إعذاره بإظهاره الإسلام و عدم إظهار شيء من نواقضه

يدرك الصور المكفرة التي تتعلق به و يظن أن أحواله لا تنحصر في هذه الصور و يجعل له أعذارا يتخيل كنهها و لا يدرك عدم إمكان وقوعها فهو يتخيل أمور لا يتسع ذهنه لإدراك عدم إمكان وقوعها و يستمد إنشاء حسن الظن به و القصد إلى إعذاره بإظهار الإسلام و عدم إظهار شيء من نواقضه

فإن قيل : قد يقال مثل هذا فيمن لم يكفر المشرك :

قيل : إن من لم يكفر المشرك لا تحصل له إلا الحالة الأولى فقط لكون المشرك يظهر عنه شركه قولا أو فعلا في صورة ثابتة غير مضطربة فعدم إدراك شركه هو امتناع عن الإقرار بما يثبت عنده وقوعه و يمتنع عنده وقوع غيره في محله و الامتناع عن الإقرار بهذا جحد للواقع المدرك ضرورة إذ يمتنع عنده دفعه و لا يتوجه حينئذ حسن الظن لظهور الناقض و لا سبب يدفعه لإعذاره و ليس الحال كحال المتوقف في كفر المرجئي الذي لا تظهر صور كفره بل تبطن فالمتوقف فيه لا يقر بانحصار أحوال المرجئي في الصور المكفرة إذ أمكن عنده دفع ذاك الإنحصار إذا قصد إلى إعذاره بظاهر الإسلام و عدم نقضه و ظن ما ظن من التخيلات التي قد لا يتسع ذهنه و لا علمه لإدراك عدم إمكان وقوعها و هذا الظن و التخيل يمكن وقوعه خاصة عند من لم يدرس الأحوال الممكن تعلقها به و هو حينئذ ليس بمناط للتكفير و لا يتوجه عدم إعذار هذا (عاذر العاذر) لأن إعذاره ناشئ عن علم بظاهر الإسلام الذي قام به و عدم ظهور ناقض له و عدم إحاطة بباطنه لذا كان المتوقف في المرجئي يختلف حاله عن المرجئي ذاته الذي كان إعذاره عن ظهور ناقض للإسلام تتعين به الإحاطة بحاله فإن أدرك المرجئي كفر المشرك و أقر بالوقوع و لم يكفر فهو واقع لا محالة في الجحد بآيات الله أو سائر الصور المكفرة كالتكذيب و الإعراض و الجدال في آيات الله بغير سلطان و الإستكبار و العناد و التقليد لمن وقع في تلك النواقض و هي إنما تحصل من جهة معرفة التوحيد لا من جهة إدراك الواقع فهي المانعة من معرفة التوحيد و دخول الإيمان في القلب و بها يناط التكفير كما أن عدم معرفة التوحيد منعه من الإسلام لكون العلم به شرط في تحقيق الإسلام، فإن كان يعرف التوحيد و مع ذلك يسميه مسلما فهذا دجال يكذب على الله و يحرف دينه.

و سبحانك اللهم و بحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك.

حجج من عذر عاذر المشرك بالجهل و بيان خطئه

إعداد :
أبو الفداء محمد بن إلياس المغربي
عفا الله عنه

(تهدى و لا تباع)

- دار التوحيد -